15 ème Année No. 795

Lundi — 27 — 9 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٩٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ذو القعدة سنة ١٣٦٧ — ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

فى الروتين الحكومى :

إرادة الصغير إدارة الكبير

من العجائب التى قلما يعجب لها أحد أن هذه الأداة الحكومية على ضخامتها وجلالتها وخطرها ، إنما يحركها صغار الموظفين حيناً بالعقل وأحياناً بالهوى ؛ فإذا حدث فى أساقلها الخطل أو الخلل — وكثيراً ما يحدث ذلك عن جهل أو عن علم — اصعد آلياً فى أعالبها حتى يبلغ ذرى الرياسة فيدخل على المدير أو على الوزير ، مزوداً بالتقارير الشارحة ، مؤيداً بالتواقيع المختصة ، فلا يسعه إلا أن يصدق ما بين يديه ، فيقبل الخطأ على أنه صواب ، ويرد الحق على أنه باطل . وتلك إحدى سيئات البيروقراطية (hiérarchie) وهي النظام الإدارى الذى يقضى بتدرج المناصب فى العمال والأعمال والتبعات ، فيبدأ الأمر بالأصغر فالصغير ، ثم ينتهى إلى الكبير فالأكبر ؛ وكلما انتقل الأمر من درجة إلى درجة أسرع النظر فيه ، وقلت الرقابة عليه ، وخفت المسئولية عنه .

فالعهدة فى هذا النظام كما ترى على الضمير ، إذا سلم سلمت الأداة وانتظم العمل ، وإذا اعتل اعتلت الحكومة واضطرب الحكم . أما حياطة القانون (للأوراق الرسمية) بتشديد العقاب على من عبث بها أو زور فيها فذلك أمر لا طائل من ورائه إذا خفى العبث أو غفت الرقابة أو اشتركت النقمة !

تعال أقص عليك بعض ما أعلم على هذه البيروقراطية من سوء عسى أن يكون فى قصصه إنعاش لضميرك إن كنت عاملا فى هذا النظام وعبثت به ، أو تعزية لنفسك إذا كنت معمولا به وتأذيت منه :

* * *

غضب مالك الأرض فى قريتنا على شاب من شبابها الأخيار لأنه جرؤ عليه يوماً فطلب منه أن يردم بركة التى تحيط بالقرية إحاطة الغُل بالعنق وأراه أن من الخير له أن يبقى فلاحيه حمى المالريا ليظلوا قادرين على رى أراضيه بعرقهم وتغذية خزائنه بدمهم وكان لهذا المالك الغضبان قرابة ببعض أولى الأمر فى وزارة الداخلية ، فاستعداهم عليه ، فألف الإدارى الصغير تقريراً غيابياً عن هذا الرجل رماه فيه بتهديد حياة الناس بالإجرام ، وتكدير أمن البلاد بالشغب ، ووافق المأمور المأمون ، وأيد المدير المأمور ، وصدق الوزير المدير ، وحُكم على البرىء حكماً عسكرياً بالاعتقال ستة أشهر تجدد لمثل ذلك ، إذا لم يرض عنه المالك ! فلما علمت بالأمر طلبت الأذن على وزير الداخلية ، وكان يومئذ فؤاد باشا سراج الدين ، وعرضت عليه القضية ، فقال فى لغة أنيقة ولهجة رقيقة : إن هذا الرجل من الأشقياء (الخطرين) ، ولا أحب أن يشفع مثلك فى مثله . فقلت له : يا باشا ، إن الرجل من كرام قريتى ، وأنا أعرفه كما أعرف أبناء أسرتى . فقال : وماذا أصنع فى تقرير رسمى حققه المركز وأيدته المديرية واعتمدته الوزارة ؟

فانصرفت حردان أسفاً على الحق يدمغه تقرير باطل فيزهق ، وعلى العدل يصيبه تقرير جائر فيهلك . وبقى المسكين فى سجنه يقاسى ألم الجور وذل الاعتقال ، حتى سقطت الوزارة القائمة ، وألغيت العسكرية الحاكمة ، فزالت عن الرجل فى التو صفات الإجرام ، وخرج من معتقله إلى أهله بسلام !

* * *

وفُصل من وظيفته محضر شاب كان يعمل فى محكمة (عنيبة) من مراكز الدر ، لأنه غاب عن مكان عمله خمسة عشر يوماً من غير إذن . وسبب غيابه أن المرض أدركه فى آخر يوم من أيام أجازته السنوية ، وكان يقضيها مع أسرته بالمنصورة ، فطلب أجازة مرضية ، فأباها عليه مفتش صغير كانت بينه وبينه خصومة ، وقرر للرياسة أن الرجل صحيح البدن ولكنه مريض النية ، فهو يأبى العودة إلى بلاد النوبة ويتمارض ليسعى . وصدق الكبير فأمره بالعودة إلى العمل بعد انقضاء الأجل ، وكانت العلة شديدة والشقة بعيدة ، فلم يدخل عنيبة إلا ليقرأ كتاب فصله ، ويرجع بالشقاء والبؤس إلى أهله !

وقضى المسكين فى المطل أشهراً يطعم أطفاله الأربعة وأمهم بالدين ، ويدافع الضر عنه وعنهم بالأمل ، حتى عرضت بنفسى ظلامته على صاحب المعالى إبراهيم باشا عبد الهادى وكان يومئذ يتولى وزارة العدل بالنيابة ، فاقتنع ببطلان تهمته ، وأعاده إلى وظيفته بمرتبه ودرجته ومدته .

وقضى المسكين فى العمل أشهراً يجاهد نصب العيش ويكابد وصب الداء حتى أودى به السُّلال على سرير موحش ووساد قلق . وكان فى إدارة المستخدمين بوزارة العدل عصبة من صغار الموظفين تتجر بمنح العلاوات والدرجات ، فينقضون المبرم ويبرمون المنقوض ، والكبار من غير فطنة ولا علم يحلون ما عقدوا ويعقدون ما حلوا ، فقررت هذه العصبة أن إعادة الموظف المرحوم إلى عمله بعد فصله كانت تعيينا من جديد يجب أربعة عشر عاماً قضاها فى الخدمة ! وانتظرت العصابة من ورثة الميت المساومة ؛ ولكن اليتامى الأربعة الصغار ، والأيم الصغيرة الفقيرة ، كانوا لا يخرجون من مسكنهم النائى ، ولا يفيقون من حزنهم الطويل ، فأمضى الكبار ما قضى به الصغار ، وقدرت المكافأة بجنيهين تقطع منهما الدمغة ! !

وبلغتنى المأساة فعرضتها على صاحب المعالى أحمد مرسى بدر وزير العدل — وكان قد كشف بفطنته ويقظته سر هذه العصابة — ينظر فى هذه القضية بنفسه ، وكتب إلى (المالية) كلمة العدل فيها بيده .

* * *

وشكوت إلى (مصلحة الطرق والكبارى) بالمنصورة أن ضيعتنا جزيرة فى بحر الأمير طوسون لا يصلها بالشاطئ العام إلا طريق وعر غير سالك ، وسألتها أن تمهده ولو على حسابى . ولكن المهندس الصغير تلكأ لأسباب لا تعنى غيره ، فلجأت إلى الرياسة العليا فقررت الطريق وأمرت أن يمهد ويصان . فلما جاء الأمر بالتنفيذ ورم أنفه واستطار عناده وأقسم ليقفن دون هذا الطريق مهما يكن الأمر والآمر . وكتب تقريراً زعم فيه أن الطريق خمسة آلاف متر وهو لا يزيد على سبعين قصبة ، وأن فى بعضه عقبة كأداء وهو وحده هذه العقبة ! فلما رأت الإدارة هذا الاختلاف بين ما قررت وقرر أرسلت إلى العزبة ثلاثة من مهندسى القاهرة فوافقوا أمامى على ما قررت ، ورسموا الطريق على ما قدّرت ، ولكنهم حين خلوا إليه فى مكتبه أصبح الخفيف ثقيلا والممكن مستحيلاً والكذب صدقاً والعام خاصاً والضرورة ترفاً والنقمة مضرة ! ومن هذا الزور الجرىء ألف الموظفون الصغار التقرير ، ورفعه كبيرهم إلى المدير ، فلم يسعه إلا أن يصدق الأوراق الرسمية ويعتمد التواقيع المختصة .

ورفعت أنا تقريرى إلى صاحب المعالى أمير الأدباء ووزير المواصلات ، فهو ينظر فيه نظر القاضى العالم والحاكم الحازم ، وسيستشهد بالطريق الناطق على التقرير المكتوب ، ويحتج بالواقع الصادق على التقدير المكذوب !

* * *

هذه أمثلة ثلاثة مما أعرف . ولدل أمثالها ألوف مما يعرف الناس ، سردتها عليك فى هذا الإيجاز لتصدق أن إرادة الصغير هى إدارة الكبير ، وأن مراقبة الموظفين محال إذا لم تكن للشرف والضمير !

(المنصورة) أحمد حسن الزيات